

الأمثل في تفسير كتاب الأ المنزل

[346] ويحسبون تعذيب المشركين لهم واذى الناس أنَّهُ عذاب من الأ (ولئن جاء نصر من ربك ليقولن إننا كنا معكم) فنحن معكم في هذا الافتخار والفتح. ترى هل يطنون أن الأ خفي عليه ما في أعماق قلوبهم فلا يعرف نياتهم (أو ليس الأ بأعلم بما في صدور العالمين). ولعل التعبير بـ "آمنا" بصيغة الجمع، مع أن الجملة التي تليه جاءت بصيغة المفرد، هو من جهة أن هؤلاء المنافقين يريدون أن يقحموا أنفسهم في صف المؤمنين، فلذلك يقولون "آمنا" أي آمنا كسائر الناس الذين آمنوا. والتعبير بـ (أوذى في الأ) معناه أوذى في سبيل الأ، أي إنهم قد يتعرض لهم العدو - أحياناً - وهم في سبيل الأ والإيمان فيؤذيهم. الطريف هنا أن القرآن يعبر عن مجازاة الأ بـ "العذاب" وعن إيذاء الناس بـ "الفتنة" وهذا التعبير إشارة إلى أن إيذاء الناس ليس عذاباً - في حقيقة الأمر - بل هو امتحان وطريق إلى التكامل. وبهذا فإن القرآن يعلمهم أن لا يقايسوا بين هذين النوعين "العذاب" و"الإيذاء" ولا ينبغي أن يتنصّلوا من "الإيمان" بحجّة أن المشركين والمخالفين يؤذيهم فإن هذا الإيذاء جزء من منهج الإمتحان الكلي في هذه الدنيا. وهنا ينقدح سؤالٌ وهو: أي نصر جعله الأ حليف المسلمين ونصيبهم، ليدعي المنافقون أنهم شركاء في هذا النصر مع المسلمين؟! ونقول في الجواب: إن الجملة الآتية الذكر جاءت بصيغة "الشرط" ونعلم أن الجملة الشرطية لا دليل فيها على وجود الشرط، بل مفهومها هو أنَّهُ لو اتفق أن كان النصر حليفكم في المستقبل، فإن هؤلاء المنافقين - ضعاف الإيمان - يرون أنفسهم شركاء في هذا النصر! إضافة إلى كل ذلك فإن المسلمين في مكّة كانت لهم انتصارات على المشركين غير عسكرية بل انتصارات في التبليغ و "الإعلام" ونفوذ في الأفكار